وهكذا فإن كل سبب ونسب وقرابة ووليجة وبدعة وشبهة منقطع إلّا ما أثبته القرآن[١] ولأن «المؤمنين» درجات فأولج الولايج منهم وأبهج المناهج هم ولاة الأمر المعصومون عليهم السلام، فإنهم استمرارية كاملة شاملة لكيان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بينهم[٢].

فكما الوليجة الرسولية هي - فقط - «رسوله» كذلك الوليجة الرسالية بعده ولوجاً قيادياً بينهم ليسوا إلّا خلفاءَه المعصومين عليهم السلام، ومن ثم الدرجات التنازلية لسائر المؤمنين قضية صالح الملابسات والمناسبات.

فمما لا مرية فيه أن الإنسان أياً كان لا يقدر أن يعيش عيشة صالحة بشخصه مهما كان شخيصاً محيصاً، اللّهم إلّا بوليجة ربانية تلج قلبه وفكره، مرشداً أو مناصراً ليكون على بصيرة ومسيرة فمصيرة صالحة لأمره في حياته.

فالمجاهدون من المؤمنين في مختلف حقول الجهاد هم الذين لا يتخذون وليجة في جهادهم وجهودهم إلّا «الله - ورسوله - والمؤمنين» فوليجة الله - كالإخلاص له فيه - دائبة لا تنفصل إلا بانفصال الإيمان، وطالما الوليجة الرسولية منفصلة بانفصاله عنا ولكنها الوليجة الرسالية مستمرة معنا، في كيانه الرسالي بسنته صلى الله عليه وآله وسلم والآخر المتمثل في عترته عليهم السلام، ومن ثم الوليجة الإيمانية من المؤمنين على كتاب الله وسنة رسوله، فمتخلفة الولايج من المؤمنين مرفوضة، والصالحة منها مفروضة، ولتكون هذه الولايج النيرة الربانية زاداً صالحاً في هذه السفرة الشاقة البعيدة المليئة بالأشلاء والدماء، كما أن ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٣] راحلتهم التي ترحلهم.

---

(١) المصدر عن أصول الكافي عن أحمد بن محمد بن خالد مرسلاً قال قال أبو جعفر عليه السلام:

(٢) المصدر عن أصول الكافي عن أبي جعفر عليه السلام في الآية يعني بالمؤمنين الأئمة عليهم السلام لم يتخذوا الولايج من دونهم.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٤.

فكما أن جهاد المؤمن محصور في سبيل الله، محسور عما سواها وسواه، كذلك وليجته في جهاده هي وليجة الله ابتغاء رضاه ورجاء لطفه تعالى في غناه، ثم وما يرضاه من الرسول والمؤمنين، وذلك هو الجهاد الصالح دون سواه، فقد انتقشت كلمة لا إله إلَّا الله في زادهم ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لا سواه، وراحلتهم ﴿وَلِيجَةً وَٱللَّهُ﴾ لا سواها.

وعبارة أخرى عن ﴿وَلِيجَةً﴾ هي ﴿بِطَانَةً﴾ فـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

ذلك «وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولوهم الأعمال، وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس، فأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله»[2].

فعلى المؤمن أن يتزود في قلبه ونيته وليجة الله، وفي كيف يجاهد؟ وليجة رسول الله ﷺ فإنه الذي يدل إلى صالح الجهاد بوحي الله، ثم وليجة المؤمنين بالله شرط الموافقة للأوليين كتاباً وسنة، تعاوناً معهم في سبيل الله، وذلك المثلث يرسم له هندسة صرح الجهاد الصالح، فلا نكسة فيه ولا ركسة بإذن الله.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.
(٢) نهج البلاغة الخطبة ٢٠٨ عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾:

«ما كان لـ» حظر حظير في موقف حذير سلباً للأهلية عن قالة أو حالة أو فعالة، كلما ذكرت فيه منها، وعمارة المساجد من هذه المحظورات للمشركين ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ هنا «الكفر» يعمم التحريم من المشركين إلى سائر الكافرين، فذكر «المشركين» إذاً يعني أنحس مصاديق الكفر.

وعمارة المسجد الحرام في ثالثة الآيات كـ ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ هنا تعم إلى عمارة بنيانه عمارة الحضور فيه تطبيقاً لطقوس كافرة أم أي حضور وكما يروى عن النبي ﷺ قوله: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان قال الله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ..﴾[1].

و«المشركين» هم أنحس مثال في ذلك الحظر، دون اختصاص له بهم، وقد يؤيده إضافة إلى ﴿بِٱلْكُفْرِ﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ حيث الحبط يعم المشركين إلى كل الكافرين، فلا يسمح لهم ككل في عمارة مساجد الله ككلّ، إضافة إلى الحصر: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ مهما كان حصراً في أرجح السماح لعمارة المساجد.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة، فكما ليست لهم أعمال ينفعهم في الآخرة، كذلك ليست لهم أعمال تسمح لهم بعمار المسجد الحرام وسائر مساجد الله، ولا لهم أعمال في مساجد الله تنفعهم، بل وهي تضرهم لأنها تخلفات عن شرعة الله الحاضرة الناسخة لما سواها، فـ:

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾:

(١) الدر المنثور ٣: ٢١٩ - أخرج أحمد وعبد بن حميد والدارمي والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن خزيمة وابن حبان وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ:

إن بيوت الله خالصة لله، خاصة بعباد الله في عبادة الله، فكيف يعمرها من لا يعمر قلوبهم بتوحيد الله، فما هي الصلة بين من يسجد للأصنام ومسجد الله لعباد الله؟! أم يسجد للمسيح أم سواه زعم أنه عبادة الله؟ فلا يصلح غير المؤمن بالله أن يعمر مساجد الله، وإنما «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ» هم الصالحون لهذا الصدد المسدَّد، ثم وأولئك الأنكاد هم الطالحون، إذاً فما هو دور المؤمنين الفاقدين لهذه الشروط الثلاثة؟ إن عمارتهم للمساجد لا محظورة - إذ ليسوا بكافرين - ولا محبورة إذ ليسوا هكذا مؤمنين، فهم عوان بينهما، مسموحاً لهم عمارة المساجد دون تشجيع.

فالموقف الأوّل لعمارة المسجد الحرام وسائر مساجد الله إنما هو لمن جمع بعد الإيمان بالله مثلثة الشروط[١]، ثم لمن آمن وجاء بالأهم منها، ومن ثمَّ لمن هو خاوٍ عنها كلِّها، درجات حسب الدرجات.

و﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ﴾ هي بين إنشاء وإخبار، إخباراً أن طبيعة حال المؤمن الحامل لهذه الشروط أن يعمر مساجد الله بنياناً وحضوراً لإقام الصلاة، وإنشاءً: ليعمر هكذا مؤمن مساجد الله في بعدي العمار دون سواه، فقضية الإيمان بالله والخشية من الله ثم إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، هي عمارة مساجد الله، وبأحرى منها كلها «المسجد الحرام».

فـ «عمَّار بيوت الله هم أهل الله» و«من ألف المسجد ألفه الله»[٢] و«من أدمن الاختلاف إلى المسجد أصاب أخاً مستفاداً في الله وعلماً مستظرفاً وكلمة تدعوه إلى الهدى وكلمة تصرفه عن الردى ويترك الذنوب حياءً

(١) ملحقات إحقاق الحق (١٤: ٤٨٢) ذكر الجبري الكوفي في تنزيل الآيات (١٢) مخطوط قال: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) الدر المنثور ٣: ٢١٦ - للأول أخرج البزار وأبو يعلى والطبراني في الأوسط والبيهقي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والثاني عن أبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وآله وسلم.

وخشية، أو نعمة أو رحمة منتظَرة»[١] و«من توضأ في بيته ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحق على المزور أن يكرم الزائر»[٢].

وإذا كانت عمارة المسجد في بنيانه هي قضية الإيمان[٣]، فالحضور فيها هو بأحرى من قضاياه، حيث القصد من بنيان المسجد أن يُسجد فيه دون بنيان هو خراب عن الحضور للصلاة.

وهنا قرن عمارة مساجد الله بما قرن دليلنا أن مساجد الله لا تصلح إلّا للعبادة لا سواها من أشغال الدنيا وكما يروى عن النبي ﷺ: «يأتي في آخر الزمان أناس من أمتي يأتون المساجد يقعدون فيها حِلَقاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا، لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة»[٤].

ولأن ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ هي محال الخضوع والسجود لله فلا تزخرف بما تجلب الأنظار، وكما يروى عن النبي ﷺ قوله: «ما أمرت بتشييد المساجد»[٥].

ولا تعني عمارة المساجد في بنيانها - فقط - إصلاح ما أشرف منها على خراب، بل وبأحرى أصل عمارها وهذا فرع عليه تشمله عمارة المسجد.

---

(١) المصدر أخرج الطبراني عن الحسن بن علي عليه السلام قال سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: . . .

(٢) المصدر أخرج الطبراني بسند صحيح عن سلمان الفارسي عن النبي ﷺ قال: وفيه عنه ﷺ قال: بشر المدلجين إلى المساجد في الظلم بمنابر من نور يوم القيامة يفزع الناس ولا يفزعون، وقال ﷺ: الغدو والرواح إلى المسجد من الجهاد في سبيل الله.

(٣) المصدر أخرج أحمد عن عبد الله بن عمير قال قال رسول الله ﷺ: من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً أوسع منه في الجنة، وفيه عن أنس عنه ﷺ قال: ابنوا المساجد واتخذوها حمىً.

(٤) تفسير الفخر الرازي ١٦: ١٠ عن النبي ﷺ:

(٥) المصدر أخرج ابن أبي شيبة عن يزيد بن الأصم قال قال رسول الله ﷺ: وفيه أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: إن الله سبحانه يقول: إني لأهم بأهل الأرض عذاباً فإذا نظرت إلى عمار بيوتي والمحابين فيّ والمستغفرين بالأسحار صرفت عنهم.

وهنا ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ قد تعني الخشية في العبادة أنه لا يعبد إلا الله، حيث العبادة بصورة عامة هي قضية الخشية، وهي الحالة القلبية الظاهرة في مظاهر القال والفعال، مهما كانت لها درجات أعلاها لـ ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾[1].

فخشية الله على ضوء الإيمان بالله تحمل صاحبها على إقام الصلاة لله في بيت الله، وعلى إيتاء الزكاة وأفضله - كذلك - بيت الله لمكان الحشد والحشر العام فيه لعباد الله المحاويج.

﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

أو لمّا يكونوا هؤلاء الأكارم من المهتدين؟ فكيف «عسى»؟ أجل، إن الإيمان بالله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وخشية الله هي اهتداء إلى الله، ولكن الاهتداء الجماهيري الجمعي الشامل الكافل لإسعاد الحياة فردية عالية وجمعية غالية، إنما هو على ضوء تعمير مساجد الله بنياناً وحضوراً وكما في رواية الإمام الحسن المجتبى عن جدِّه رسول الله ﷺ، وحتى الاهتداء الفردي هو بحاجة إلى كمال الصلاة والزكاة والخشية، فليس لهم - إذاً - إلّا رجاء الاهتداء.

ثم اهتداءٌ آخر هو استمراريته بتكافل الجمع الحاشد في بيوت الله ولا سيما في مؤتمرات الحج والعمرة، ومن ثم حسن العاقبة بذلك الاتصال الجماهيري في تحقيق عمودي الصلاة والزكاة في بيوت الله، ثم الاهتداء إلى الجنة.

ومن ناحية أخرى قد تنحو «عسى» نحو قطع آمال المشركين عن اهتدائهم دون سبب صالح، فإن السبب الصالح يوصل إلى الهدى بـ «لعل وعسى» فضلاً عن غير الصالح فلا «لعل» فيه ولا «عسى».

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

فـ «عسى» هنا عساها تعني بعد الاهتداء الأوّل في مربعه سائر الاهتداء في الدارين التي هي من محاصيل تعميرات بيوت الله من كل الجهات وبكل الإمكانيات، وفي أعلى قممها ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ حيث ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾[١] و﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[٢] و﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾[٣] فالقيام الإسلامي السامي في ذلك المؤتمر هدىً لا بديل عنها وكما فصلناها على ضوء آيات الحج.

ذلك، وفي نظرة أخرى إلى الآيتين نستنتج أحكاماً تالية:

١ - تعمير مساجد الله في مثلث البنيان والإصلاح والحضور محرم على الكافرين بالله، حيث المشرك نَجِس نَجِس، والكافر - ككل - نجِس، وتطهير البيت فرض ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾[٤] ثم ودخول الكافر مظنة تلويث المسجد وهو حرام، وإن الكافر جنب أياً كان، ودخول الجنب في المسجد حرام لا سيما المسجد الحرام إذا كان مسلماً فضلاً عن الكافر:

﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾[٥] إذ هم مكلفون بالفروع كما الأصول، ثم وإقدام الكافر لتعمير مساجد الله تعيير، كما يُوجب منة على المسلمين.

إذاً فدخول الكافر مساجد الله لغير عمارة، بل للاهتداء، ليس ذلك محظوراً، وفي دوران الأمر بين محظور الجنابة ومحبور الهداية، لا ريب أن الهداية أولى وأرجح، بل وفي حظر الكافر المتحري عن الهدى عن دخول مساجد الله حظر عن الاهتداء إلى الله! ذلك، وقد تلمح ﴿شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.
(٥) سورة النساء، الآية: ٤٣.

أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ أن «المشركين» والكافرين في ذلك الحظر لا تشملان من لا يشهد على نفسه بالكفر، حيث هو في سبيل الاهتداء ليسمع كلام الله في مساجد الله، فالشهادة على النفس بالكفر هي الاستقرار الصامد على الكفر، شهادة في القال والفعال مع شهادة الحال.

هذا، ومن شهادتهم على أنفسهم بالكفر طقوس الكفر التي يعملونها في مساجد الله، كالطواف عرياناً حول البيت مكاءً وتصدية وقولهم «لبيك لا شريك لك إلا شريكٌ هو لك تملكه وما ملك» وسائر طقوسهم الكافرة في سائر مساجد الله.

ثم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ككل وفي مساجد الله، والأعمال الحابطة بها خابطةً، فيها مس من كرامة مساجد الله، كمن يصلي في مسجد دبر القبلة أم دون طهارة أماهيه من حبط للصلاة وخبطٍ فيها.

وفي نظرة أخرى إلى الآيتين نقول: حظر عمارة المساجد - ومنها دخولها - محصورٌ في ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ فما هي هذه الشهادة؟ والكافر بصير بنفسه أياً كان! من شهادتهم على أنفسهم بالكفر حالة الصمود والجمود فيه، فالكافر المتحري عن إيمان غير شاهد على نفسه بالكفر، لا عابراً متحرياً في شكٍ مقدس، فلا حظر عن عمارته المسجد.

ومنها الالتزام في كفرهم بالطقوس الكافرة قالاً وأعمالاً إلى حالٍ، فقالة الكفر وأعماله للداخل في مساجد الله إزراء بها وبالمؤمنين بالله.

فأما إذا هو كافر لا يشهد هكذا على نفسه بالكفر، بل ويعمل عمل الإيمان ضمن المؤمنين لأنه محايد مهما لم يكن متحرياً، فقد يجوز دخوله مساجد الله، إذ لا ضير فيه ولا مسٌ من كرامة، وقد يجوز اهتداؤه في خِضِمِّ الجماعات الإيمانية بطقوسها.

فالكافر المتغيب كفره تحرياً عن إيمان، أم دون تجرٍ على إيمان،

مسالمةً ومحايدةً مع أهل الإيمان، قد يجوز له عمارة مساجد الله، وأما محظور الجنابة فقد يدخل في دوران الأمر بين الأهم والمهم وما أشبه.

والأصل من محظور عمارة مساجد الله هو الصدُّ عن أن يذكر فيها اسم الله، أو يعارض بذكر اسم غير الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

ذلك، وقد تعين ﴿مَا كَانَ﴾ هنا وهناك الإخبار إلى الإنشاء والإنشاء إلى الإخبار، فبالنسبة للعمارة الروحية إخبار، ولغيرها إنشاء، و﴿مَا كَانَ﴾ تضرب إلى أعماق الإخبار والإنشاء.

ولأن الأصل في عمارة المسجد الحرام عمارة الإيمان الصالح، لا فقط عمارة البنيان والعامرون هم غامرون في الكفر، خراب عن الإيمان، لذلك تأتي النبهة الثالثة:

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾:

فلقد كانت للمشركين ﴿سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قاضية عن عمارة الإيمان - منقبةً يفتخرون بها على المؤمنين بالله واليوم الآخر والمجاهدين في سبيل الله، فواجههم ذلك التنديد الشديد، ولكي يعرفوا أن الأصل في عمارة المسجد الحرام هو عمارة الإيمان، وإمارته على أهل الإيمان، فمسجد الضرار مسجد في عمارته كسائر المساجد، ولكنه يُهدم ويحرق بأمر الله لأنه كان إرصاداً لمن حارب الله ورسوله، فـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٤.